مجلة

الجنس اللطيف

السنة الثانية | العدد الثالث | ٥ سبتمبر ١٩٠٩

السعادة المنزلية

« ان الله جعل السعادة متيسرة لكل العالم »
« فاذا لم يكن المرء سعيداً فذلك لجهله طريقها »
(ابكتيتس)

السعادة ولا اقصد بها وفرة الغنى وكثرة المال وواسع الملك وسامي المنصب انما السعادة الحقيقية هي راحة النفس والسكون والهدو والسلام وكل ما يبعث في النفس الدعة وعوامل الهناء

والمنزل هو الشاطئ الهادئ والملجأ الامين والمأوى الحصين الذي يجمع بين جدرانه افراد العائلة من والد ووالدة وزوج وزوجة وغيرهم يربطهم ذاك الرباط العائلي الذي تضم عراه يد الحب الطاهر وجامعة الالفة المتينة

يعود الصبي من مدرسته فيجد من حنان والدته وشفقتها ماينسيه عناء الدرس ويعوّض عليه ما لاقاه من قسوة المعلمين : ويرجع الرجل بعد الانتهاء من اعماله قاصدا ذاك الشاطئ الامين الذي ترسو عليه سفينة

آماله فتقابله زوجته بوجهها الباش وثغرها الباسم فتنسيه ما كابده طول نهاره من عناء العمل ومتاعب الحياة

والانسان في منزله بعيد عن الجلبة والضوضاء يشعر بلذة قلما يجدها خارجاً . فهو بين عائلته يجد زوجة أمينة تسامره بألطف الحديث ويحيط به أولاده هذا يقبله وذاك يداعبه وهنا هناء لا يشعر به الا من كان أباً حنوناً وما أحلى هذا المنظر الذي يجدد في النفس المسرة ويزيل بواعث الهموم والاتراح

ان في ابتسامة الزوجة بلسم لجراح نفسه وهي بما طبعت عليه من الرقة واللطف وما وهبها الله من عاطفة الحنو ورقة الشعور تستطيع ان تزيل غشاء الهموم عن قلب زوجها وقسيمها في الحياة : ان المرأة الحكيمة تاج لزوجها وفضيلة لاولادها ونور لمنزلها يتلألأ شعاعه سعادة وهناء . فاذا ما احرز الرجل مثل هذه الدرّة الثمينة كيف ينبذ منزله بما فيه من انواع السعادة ويفر راكضاً الى اهوائه وامانيه الباطلة التي تجر عليه الويل والدمار

يترك الرجل بيته ويقضي الليالي بين الكاس والطاس مكباً على موائد الميسر غير شاعر بتلك الهاوية البعيدة الغور التي يحفرها له ولأهل بيته : يحرز في بيته زوجة تبذل قلبها حباً له وتخلص له الود والامانة ولكنه يتركها فارًّا وراء امنية زائلة وكأنه يراعي ما قيل في الامثال (ما لا تمتلكه اليد تشتهيه النفس) ولا يدري ان النفس امّارة بالسوء فمن لم يعص هواه واسترسل في معاصيه وقع في تلك الحفرة الجهنمية فلا يرى له سبيلاً

للخلاص ولا يشعر الا وهو يعض بنان الندم والاسف حيث لا ينفع ندم ولا اسف : وقد ترك زوجة باكية تندب سوء حظها وتعاني مرارة العيش ويرى أولاده وفلذة كبده يتضورون تعاسة ولا ذنب لهم انما الذنب على ذلك الوالد العاتي الذي جلب بيديه الاثيمتين كل هذه التعاسة وذلك الشقاء

كذلك يفرّ الفتى الطائش من تلك السفينة الهادئة والشاطئ الامين الى سفينة تلعب بها امواج المفاسد وتقذفها رياح الغرور على شواطئ مملوءة ضوضاء فلا تلبث حتى تتحطم على صخور الشقاء وتبتلعها لجة من التعاسة فتهوي في ذلك الغور العميق المتلبد بالاحزان . هكذا يترك البيت مخلوع العذار ويقذف بنفسه في لهيب الفاسد كالفراشة التي تفرّ الى الضوء جاهلة ان فيه هلاكها

أجل ان الشاب ينفق زهرة شبابه وربيع حياته بين الندامة والكؤوس ويعد ذلك منتهى التمدن والظرف وهو انما يؤدي بصحته ويضيع حياته الثمينة ولو تصور لذة الحياة المنزلية وما يشعر به الانسان بين عائلته المحبوبة من الاخلاص والدعة والسلام لكفّ عن اهوائه وابتعد عن ذلك العالم المملوء بالغش والتدليس

يتوهم كثيرون من الناس ان السعادة الحقيقية لا تتأتى من الوفاق الذي يجمع بين زوج صالح وزوجة امينة تربطهما عواطف الحب وعلائق الاخلاص والأنام زاعمين ان السعادة لا ينالها الانسان الا من طريق المال وهذا الاعتقاد الفاسد هو الذي يجر المرء الى الخيلاء ويحرمه لذة العيشة المنزلية والهناء العائلي اذ المال لا يعد الواسطة لضمان السعادة فان السعادة

التي يجدها الانسان بين عائلته لهي اثمن من كل ثروة وأعز من كل جاه

ولكنا نرى اغلب الشبان منصرفون من انفسهم في هذه السنوات الاخيرة عن وجهة الزواج ولا يأتون على ذكره الا على سبيل التفكه والمباسطة ولا ندري اذا كان هذا ما يسمونه مدنية اوهو التقليد الاعمى . فقل لي بحقك ايها الفتى كيف تشنع على الزواج ولا تتلفظ به الا بكلمات السخرية والاستهزاء وتفرّ منه فرارك من الحية الرقطاء ؟ قل انك الفت الحانة وربات الهوى فلا سبيل الى السلو عنها : قل انك تكره ان تأوى الى منزلك دقيقة واحدة لانه في نظرك سجن مطبق : بل قل انك لا تريد زوجة تضايقك وتمنعك عن هذه الملاهي والملذات الفاسدة : نعم قل انك لا تريد شريكة تسهر على اعمالك وتناقشك الحساب ولا بنين يثقلون كاهلك بأحمال الهموم والعناء . ليت شعري لو تعلم ان هذه الزوجة واولئك البنين لا يكلفونك نصف ما تصرفه جذافاً على تلك الملذات والشهوات : لو تعلم انهم يعيشون بالقليل ويرضون منك بابتسامة يسري تأثيرها في قلوبهم المبتهجة بالحب والاخلاص : لو تعلم ما هي السعادة المخبوءة بين جدران ذاك المنزل الذي يجمع بين عائلة مخلصة لا تعرف سوى الاخلاص والامانة : لو علمت كل ذلك لهربت من شرّ تلك المفاسد وفضلت هذا النعيم على ذاك الجحيم

قال (هنين) احد فلاسفة الانكليز « انا جالس في غرفتي مستريح البال تدفئني النار اللامعة ويحيط بي السكون والهدو بينما الليل يرخي سدوله وتهب الزوابع في الخارج ويسقط البرد ويقصف الرعد ويملأ دويه

الفضاء » يقصد بذلك ان الانسان في بيته يكون في مأمن من شرور العالم وضوضائه يشعر براحة وسرور وهو اذا لم يجد ما يلهو به يجلس الى مكتبته فيجد من الكتب اصحاباً مخلصين وحكماء ناصحين فبوجوده حينذاك في المنزل يجد ما يفيده مادياً وادبياً : ولست اقصد ان يزج الفتى او الزوج نفسه بالمنزل ويحبس نفسه حبساً بل لديه من الاوقات مايسمح له بالخروج مصحوباً بافراد عائلته لاستنشاق الهواء وترويح النفس وما احلاها من فسحة تجلب للنفس ارتياحاً ومسرة

وقصارى القول ان هذه السعادة متيسرة لكل انسان لو عرف طريقها وسلكها كما قال (إپكتيتس) «ان الله جعل السعادة متيسرة لكل العالم فاذا لم يكن المرء سعيداً فذلك لجهله طريقها » بل ان السعادة الحقيقيه هي في من يقدر العائلة حق قدرها ويتصور لذة الوجود بين الدعة والحبور بعيد عن ضوضاء العالم ومشاغبه الكاذبة

واذا علمنا ان المنزل هو الملجأ الامين والحصن الحصين فليس من العدل ان يتركه الانسان بما فيه من سعادة وغبطة لا عمل له الا ارتياد الحانات والجري وراء الاماني الزائلة التي تسلب العقول وتستدر الدرهم والدينار . ولماذا نفعل ذلك وامامنا هناء ولذة نمتلكها في ايدينا دون ان نتعرض للخسارة والدمار . وأي سعادة يشعر بلذتها الانسان او يحلم بها اكبر من هذه السعادة الخالية من شائبة الاكدار . اذاً فلنجعل البيت والعائلة رائدنا ففيهما الخير وفيهما الكفاية (ص . الياس)

احد منشئي مجلة سمير الشبان